

الكتابة الأدبفلسفية عند الفلاسفة - الأدباء

The inter-philosophical writing of writers-philosophers

حمراوي خضرة¹

k.hamraoui@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/30 تاريخ النشر: 2026/06/11

Received: 30/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص

في إطار اتصال الأدب والفلسفة، تشكّلت عدّة مظاهر تجسّد صداقتهما، تمثّلت في جنوح الفلاسفة نحو الأدب إبداعا ودراسة، فحفل المشهد الثقافي بعدد من الفلاسفة - الأدباء. وتجلّت أيضا في الكتابة الإبداعية البينية في عدة مصطلحات مترادفة وهي: أدب فلسفي، كتابة أدبفلسفية، فلسفة متأدبة.

لقد جسّدت الكتابة الأدبفلسفية صداقة الفلسفة والأدب، لما حملته من تفاعل خلخل بنيتهما، وخرق خصوصيتهما، خاصة عند الفلاسفة - الأدباء.

كلمات مفتاحية: الفلاسفة الأدباء، الفلسفة، الأدب، الكتابة البينية، الأدب الفلسفي.

Abstract:

Within the framework of the interconnection between literature and philosophy several aspect of their enduring relationship have emerged. this manifested in philosophy's gravitation toward creative writing and study.

Furthermore, the scene of intellectual production has been enriched by a number of writers and philosophers/it has also been reflected in the inter-creative writing, and disciplinary philosophy. this inter-philosophical writing has truly embodied the friendship between philosophy and literature. due to the interaction, it carries within its structure, thus breaching their respective boundaries, particularly among writers-philosophers.

Keywords: Philosopher, writers, Literature, inter-disciplinary writing, Philosophical literature.

(1) جامعة سكيكدة، الجزائر. مخبر الأدب العام والمقارن عناية (الجزائر).

مقدمة:

شهد الأدب نقلة نوعية في طبيعة الكتابة، وزالت الحدود بين الأدب ومختلف التخصصات الأخرى، وتفرّعت أنواع إبداعية جديدة. وكتابات بينية عديدة كانت حصيلة تفاعل الأدب مع مجالات أخرى خارجة عن الأدب، ومثال ذلك، أدب الخيال العلمي الذي كان حصيلة تفاعل الأدب والعلم. والأدب الرقمي الذي عبر عن انفتاح الأدب على الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، والأدب الفلسفي الذي تتقاطع في نصوصه الخطوط الفلسفية والأدبية، فكان نموذجا آخر معبرا عن التفاعل بين الأدب والفلسفة. فرغم اختلاف العلوم في مبادئها ومنهجية البحث فيها ومقاصدها؛ إلا أنّها تتقاطع باستمرار، كما أنّ الاختلاف لا يعني حدوث تصادم أو تعارض بين تلك الاختصاصات، بل هو أقرب إلى التميز والتخصص.

نقف في هذه الدراسة عند فئة بارزة في المشهد الثقافي والفكري والإبداعي وهم الفلاسفة الأدباء. وهنا نتساءل ما المقصود بالفلاسفة الأدباء؟

إن المتأمل في مسار الفكر والأدب يستوقفه الكم الهائل من الفلاسفة الأدباء من القديم وإلى يومنا هذا. والمقصود بالفلاسفة الأدباء الشخصيات التي جمعت في كتاباتها بين اختصاصين مختلفين. هناك من هم في الأصل فلاسفة وتوجهوا نحو الأدب. وهناك من كان إبداعهم في الأدب وساقهم الحس الفلسفي نحو الكتابة الفلسفية، نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر أفلاطون، نيتشه. البير كامي، والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، وغيرهم ومن العرب أيضا الكندي، الفارابي. أبو حيان التوحيدي. ابن طفيل، أبو العلاء المعري الملقب بفيلسوف الشعراء وأديب الفلاسفة لما حمله شعره من تأملات فلسفية في قصائده خاصة فيما كتب عن حقيقة الحياة والموت، زكي نجيب محمود الملقب بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء في العصر الحديث وهو نفس اللقب الذي أطلق على التوحيدي قديما، العقاد، والشاعر الفيلسوف محمد اقبال.

كما عرف الكثير من الشعراء الفلاسفة في الأندلس نذكر منهم ابن باجة، ومالك بن وهب، وأبي الحسن الأنصاري الجبائي الملقب بشاعر الحكماء وحكيم الشعراء.

لقد لاحظنا توجه الكثير من الفلاسفة نحو الكتابة الأدبية قديما وحديثا، وفي مختلف الأنواع الأدبية، الأمر الذي دفعنا للبحث عن دوافع جنوح الفلاسفة الأدبي، والعوامل التي مكنتهم من اقتحام الأدب. كما سنقف تحديدا عند نوع من الأنواع الكتابة المهجنة التي رافقت هذا الانفتاح وهي الكتابة الأدبفلسفية.

2. تضاف الأدب والفلسفة

في ظلّ انفتاح الأدب والفلسفة على بعضهما، تشكّلت عدّة مظاهر تجسّد صداقتهما، تمثّلت في:

✓ جنوح الفلاسفة نحو الأدب، فحفل المشهد الثقافي بعدد من الفلاسفة - الأدباء.

✓ وتجلّت في الكتابة الإبداعية البينية: الأدب الفلسفي، والفلسفة المتأدبة.

✓ ومظهرت أيضا في المفاهيم النقدية البينية: فلسفة الأدب، أدب الفلسفة، فلسفة النقد.

وهذا يعني أنّ الفلسفة تقبل على الأدب وتثمر كتابة فلسفية متأدبة، أو تتخذ الأدب موضوعا لها، وهو ما يندرج ضمن مباحث فلسفة الأدب وفلسفة الفن والجمال. وفي المقابل يفتح الأدب بدوره على الفلسفة فيشع بفكر وأسلوب فلسفي يعرف بالأدب الفلسفي، وهو ما نسميه "التفكير بالأدب"، ومعناه أن نتخذ الأدب وسيطا ننقل عبره أفكارنا الفلسفية العميقة، فيكون ذلك الأدب فلسفيا. أما التفكير في الأدب فهو أن نتخذ الأدب موضوعا للتفلسف، تفكر فيه وتبحث في قضاياها ما هو يعرف فلسفة الأدب.

3. ماهية الكتابة الأدبفلسفية:

برز نتيجة تداخل الأدب والفلسفة نمط كتابي لا هو بالفلسفي ولا هو بالأدبي، يطلق عليه بعض الدارسين و النقاد مصطلح الأدبفلسفي أو الأدب الفلسفي.

يسمى الأدب أدبا فلسفيا إذا سجل حضور بارز للفلسفة فيه، فالأدب الفلسفي يحده الأدب من جهة والفلسفة من جهة أخرى. و"يقوم في تركيبه الجدلي البالغ العمق والدلالة بين البعد الفلسفي والطابع الجمالي" (شيا، 2009، صفحة 289). فهو بناء ورؤية يقوم فيها الأديب ببناء نصه انطلاقا من أفكار فلسفية، فيتناولها بطريقة أدبية. فيفتح الأدب ذراعيه مستقبلا الفلسفة، ومحتضنا مفاهيمها ووقضاياها في شكل أدبي.

والأدب الفلسفي يتناول "الأفكار والمبادئ والقيم التي يشتغل بها الفيلسوف، ولكنه يتناولها تناولاً أدبيا" (بوزيد، 2026). فيكون القاسم المشترك بين الأدب والفلسفة هو الفكر الفلسفي. لذلك يُعد الأدب "الفن الوحيد الذي يصنع الجمال بمادة الكلام المقتزن بدلالات الفكر وأبعاده المباشرة" (عليان، 2000، صفحة 48)، فالكتابة الأدبية بأجناسها المختلفة وأبعادها المتعددة تعبر عن فلسفة في الكتابة، ورؤية في الجمال والفن تنهض على مقومات جمالية إبداعية.

وتتوزع الكتابة الأدبفلسفية على أشكال مختلفة وأساليب مختلفة أيضا، وهي حاضرة في الأنواع الأدبية القديمة والحديثة. من مثل المحاورات التي قدمها أفلاطون وابن طفيل قديما، وتبعهما دافيد هيوم حديثا الذي كتب محاوراته بأسلوب أدبي حوارى ساهم في جعل الفلسفة ممتعة، والملاحم، والرواية الفلسفية، والشعر الفلسفي. والمسرحية الفلسفية، والمقالة، الأدب الذاتي كاليوميات والسيرة الذاتية والقصة الفلسفية وغيرها من الأنواع الأدبية. فأغلب الفلاسفة قديما استخدموا الشعر للتعبير عن أفكارهم. كما أن الكثير من الأدباء كان لديهم عمق الطرح لفلسفي والقضايا الفكرية.

4. نزوع الفلاسفة الأدبي - دوافعه وظروفه :-

لكل ظاهرة أسباب ودوافع تدفعها للظهور، ويبدو أنّ جنوح الفلاسفة الأدبي له منطلقاته ودوافعه وأهدافه، والدراسات في هذا المجال حسب اطلاعنا قليلة جدا.

بعد تأمل الكم الهائل من الكتابة الأدبفلسفية في تماثلها العربية والغربية. القديمة منها والحديثة والتي تتم عن استمرارية في التفاعل والتناغم بين الأدب والفلسفة؛ يتبادر إلى أذهاننا تساؤلات أخرى: ما سر اقتراب الفلسفة والفلاسفة من الأدب؟ وما هي العوامل التي صقلت ملكة الإبداع الأدبي لدى الفلاسفة؟ وما هي أسباب النزوع الأدبي لدى الفلاسفة، والنزوع الفلسفي لدى الأدباء؟ وما هي دوافع اختيار بعض الفلاسفة للأسلوب الأدبي وسيلة للتعبير دون غيره من الأدوات؟

هذه التساؤلات، كانت البذرة الأولى لتكوّن فكرة البحث حول النزوع الأدبي للفلاسفة الذي ما يزال يغطيه ضباب كثيف، وما وجدناه حولها قليل لا يشبع طمع الباحث، ولا يشفي غليل السائل.

1.4. دوافع نزوع الفلاسفة الأدبي:

عرفت الكتابة الأدبفلسفية النور بفعل دوافع تتضافر في الذات الكاتبة المتفلسفة، فجعلته يكتب بهذا الأسلوب دون غيره. حيث ينطلق الأدباء الفلاسفة والفلاسفة الأدباء من دوافع فطرية، وأخرى مكتسبة ساهمت في صقل موهبتهم وتمييز أسلوبهم، وأتيحت لهم ظروف وعوامل سهلت عليهم مهمة الكتابة. وتتمثل الدوافع التي جعلت الفلاسفة - الأدباء يميلون نحو الكتابة الأدبفلسفية في النقاط التالية:

- النزعة الفنية والحس الجمالي الذي يتمتع به الفلاسفة.

- طبيعة الفكرة هي التي تدفع الكاتب الفلسفي إلى أن يكتبها بالأسلوب الأدبي وغيره. لكن طبيعة الموضوعات لا تكفي وحدها ما لم تتضافر مع نزعة فنية، ورغبة في استخدام الأسلوب الأدبي في التعبير عن الفكرة الفلسفية.

- شيوع الفلسفة في الأوساط الثقافية والشعبية كانت أحد الدوافع البارزة في صياغة الفلسفة أدبيا (جبر، 2013، الصفحات 18-19).
- دعوات الفلاسفة للعودة إلى الشعر والشعراء، كدعوة الفيلسوف الإنجليزي الكبير هويتة Whitehead الذي نادى بالرجوع إلى الشعراء من حين لآخر من أجل التعبير عن أعمق القضايا الفلسفية لما لهم من حدس إنساني عميق، وقد دعا إلى العودة تحديدا إلى الشعراء الرومنسيين من مثل ووزرودث وشيلي. لأنّ الشعراء على حدّ قوله يملكون القدرة على التعبير عن أحاسيسهم وهو ما يفتقده الفلاسفة الماديون وحتى العلماء.

وتبعه الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون Henri Bergson في هذا بداعي أنّ الرواية والأعمال الفنية من شأنها أن تقوي حدس الفيلسوف، ذلك أنّ الأدب والفن يساعدان الفيلسوف على الخروج من المقولات الجامدة.

أمّا الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر Martin heidegger فقد "تغذى من هولدرلين، ونهل بنهم من قصائده، وجعلها قوت فكره وطبقه الأساسي" (دوميه، 2013، صفحة 306). ومرّد ذلك تلك اللغة التي كتب بها الشاعر الألماني هولدرلين شعره. متأثرا بفلسفة عصره وهي الفلسفة المثالية الألمانية. وقد أعجب نيتشه وهايدغر بأسلوبه، كما قدّم هايدغر قراءة في شعر هولدرلين وشاعريته في محاولة ربط علاقة الشعر بالوجود.

فيما يرى آخرون أنّ الشعر أنسب من النثر في البلوغ إلى ما وراء العقل المجرد، ودعوا إلى ضرورة العودة للشعر، لأنّه يستكمل إنسانيته، ويستكمل وجوده، ويجدّد روحه؛ ومنهم طه عبد الرحمن الذي يقول: "وأنا إن عدت إلى الشعر، فإني أريد أن أعود إلى ممارسة الكلام الأول، لأنّ كلام الفطرة الإنسانية في كمالها؛ فيكون القصد من عودتي للشعر هو استكمال إنسانيتي... وأنا إن عدت إلى الشعر، فإني أريد أن أعود إلى هذا الاتصال بالوجود في كليته، لأنّ فيه كمال الوجود الإنساني (...). والشعر هو الذي يمكن الإنسان من اختراق السبع الطباق، والنفاذ إلى العوالم الخفية، والآفاق اللامتناهية. وأنا إن عدت إلى الشعر؛ فإني أريد أن أعود إلى الغطس في بحار اللامتناهي، لأنّ في هذا الغطس بعثا جديدا لروحانيتي، فيكون القصد من عودتي إلى الشعر أن أجّدّ روحي". (عبد الرحمن، 2011، صفحة 146) وهي أشبه بدعوة هايدغر للعودة إلى الشعر والشعراء، فطبيعة الشعر والأدب حسب طه عبد الرحمن هي التي دفعت الفلاسفة إلى التوجه صوبه، فالكثير من المفكرين كانت بداياتهم أدبية، كقراء أو شعراء أو غير ذلك؛ والبعض منهم استمر في المزاجية بين الأدب والفلسفة والبعض الآخر كرس وقته للفكر، كما هو حال المفكر طه عبد الرحمن الذي كان في شبابه مبدعا في الشعر لكنه قرر بنفسه التوقف عن الكتابة من أجل التفرغ للبحث الفلسفي.

ويذكر زكي نجيب محمود في أغلب كتبه وخاصة في مقدماتها فلسفته في الكتابة التي ترتبط بالأسلوب الذي اعتمده، حيث يقول: "إذا تناولت فكرة فلسفية عاجلتها بقلم الأديب، وإذا عاجلت موضوعا من موضوعات الفن والأدب تناولته تناول الفيلسوف" (محمود، 1963)، لقد كان زكي نجيب محمود يستنير في أسلوبه بمنطق عقله، ويهتدي فيه إلى قلبه ووجدانه؛ فطالت نفحات الفلسفة كتاباته الأدبية، وارتقت همسات الأدب في حضن بعض كتاباته الفلسفية والفكرية، وبذلك خرق حدود الأديب وحدود المفكر والفيلسوف، ولعب على أوتار الفن والعلم، وأوتار الأدب والفلسفة والفكر، الأمر الذي جعله يعزف لحنا جميلا متناغما. إنه لحن الأديب الفيلسوف، والفيلسوف الأديب. كما تناول موضوع تنوع أساليب الكتابة وخصوصية الكتابة الأدبفلسفية في مقال بعنوان "فكرة الأدب.... وأدب الفكرة" في كتابه "عن الحرية أتحدث" تطرّق فيه إلى موضوع القيم في الأدب وكيف يقدّمها الفيلسوف في الأدب، فيقول: "القيم عندما يعالجها المفكر... قد يلجأ إلى وضعها في مركّب فيه صفات التركيب الأدبي، وعندئذ تجيء كتاباته جزءا من الأدب أو في هوامشه، وكذلك قد يلجأ في عرضها إلى الاتجاه المضاد، فيقرّبها من دقة العلم، وعندئذ تجيء كتابته مطبوعة بطابع فلسفي" (محمود، عن الحرية أتحدث، 1989، الصفحات 160-161)، فموضوع الأدب وإرادة الأديب يلعبان دورا مهما في توجيه أسلوب الكتابة، من هنا انطلقنا للبحث في نصوص زكي نجيب محمود الأدبية، وأسلوب كتابتها، وفلسفته الأدبية.

لقد دخل زكي نجيب محمود مجال الأدب وجزّب الكتابة الأدبية بإرادة كبيرة من أجل إشباع رغبته الهاوية للأدب والفن، جنبا إلى جنب مع ممارساته الفكرية، ولأنّه كان يترنّج بنصفه في الأدب ونصفه الآخر في الفلسفة، فقد كان في صراع بين عقله ووجدانه، وهو صراع عاشه في داخله وانعكس على كتاباته. وكانت لديه فلسفة في الكتابة، هي الكتابة الأدبفلسفية حيث اتّحدت الفلسفة والأدب في بعض كتاباته، وخلقت شكلا هجيناً وخطاباً مزجياً، وهي كتابة محلخلة أجناسياً، متعدّدة الأبعاد، وخرقة لنمطية الكتابة المعروفة عن الأدب أو الفلسفة.

ويذهب بعض الدارسين إلى أنّ إقبال الفلسفة على الأدب قد فتح آفاقاً جديدة للفلسفة، خفّف من جفافها وعبوسها، وأعاد إلى الممارسة الفكرية شيئاً من اللعب أدخل الفكر في مناطق لم يألفها (ماشيري، 2009، الصفحات 15-16). لذلك دخل الفلاسفة هذا المجال.

ولعلّ سبب اقتراب الفلسفة من الأدب من منظور زكريا إبراهيم الذي أرجع اهتمام الفلاسفة وبالأخص الفرنسيين بالفلسفة والأدب وتقريبهما من بعضهما إلى أنّ الإنسان هو موضوع اهتمام الفلاسفة في القرن العشرين، بعد أن كانت في قرون مضت تحتم بوظائف الإنسان كالوظيفة السياسية والوظيفة الأخلاقية. وبهذا كان الإنسان نواة البحث والإبداع باعتباره موضوعاً مشتركاً بينهما، الأدب قد "توسّل في التعبير عن العالم بالقيمات الفلسفية الكبرى من قبيل الوجود والعدم، المعنى واللامعنى لتشخيص إشكالات الإنسان المعاصر" (محفوظ، 2015)، فتعود القرابة بين الأدب والفلسفة إلى "اهتمام كل من الفيلسوف والأديب بمصير الإنسان، ومواقفه البشرية، وقيمه الأخلاقية، وصراعه ضد شتى القوى اللاإنسانية... إلخ" (إبراهيم، 1971، صفحة 126). فالأدب إنساني، وإنسانيته فتحت شهية الفلاسفة والأدباء معاً.

2.4. العوامل المساعدة على ولوج الكتابة الأدبفلسفية:

تمكّن الكثير من الفلاسفة من ولوج عالم الكتابة الأدبية والأدبفلسفية بفضل عدّة عوامل أهمها (جير، 2013، الصفحات 20-

22-21)

- أثر البيئة: كانت علوم اللغة، والأدب وعلوم الدين أبرز المجالات التي برع فيها العرب. لذلك، فهي الرافد الذي ساعد أعلام الثقافة العربية والإسلامية على التميز والشيوع، ومثال ذلك أن البيئة العربية القديمة كانت تحفل بالشعر كثيرا، لهذا نجد أن أغلب الفلاسفة الأدباء في القديم اختاروا الشعر، وأبدعوا في الشعر الفلسفي بصفة أكبر. وساد أيضا التعليم القرآني، حيث كانت العلوم القرآنية الرافد العلمي الأول الذي نهل منه كبار العلماء والفلاسفة المسلمين على وجه التحديد.

- الثروة اللغوية والأدبية التي تمتع بها الفلاسفة سمحت لهم بولوج عالم الكتابة الأدبفلسفية بكل احترافية، فكما هو معلوم أن الأسلوب الأدبفلسفي يعتمد في الأساس على لعبة اللغة.

لذلك، كان التحصيل اللغوي الذي نشأ عليه الفلاسفة في صغرهم دور كبير في نبوغهم، كما كان لمطالعاتهم الأدبية فضل في اكتساب ثقافة أدبية.

وتعدُّ الرغبة في الكتابة بهذا الأسلوب أهم دافع، ولتحقيق تلك الرغبة لا بدَّ من زاد معرفي ولغوي يثري الموضوع أو القضية التي يود الفيلسوف أو الأديب الكتابة فيها. ولعلَّ قضية اللغة من بين القضايا المشتركة التي يشتغل عليها أهل الأدب والفلسفة معا، فاللغة من المواضيع الفكرية المهمة التي يشتغل عليها المفكر والفيلسوف أيضا، وهي ليست حكرًا على اللغوي أو الأديب فقط، كالبحث مثلا في فلسفة اللغة وفلسفة الجمال والخيال وغيرها من المواضيع التي تجذب اهتمام الفلاسفة.

وخلاصة القول إنَّ تفاعل الأدب والفلسفة ترك نصوصا خالدة وضعت بصمتها في عالم الأدب، وتركت أثرا قويا في المتلقي، لما تحمله من بعد جمالي قلبي وقالبا. لكن إذا كان ولوج الفلاسفة عالم الأدب وجها محمودا في إرساء قيم حضارية وتكامل معرفي، فذلك يجعلنا نخشى على الأدب.

3.4. هل يمكن لكل فيلسوف أن يقتحم مجال الأدب؟

صحيح أن الفلسفة حاضنة العلوم، لذلك من اكتسبها يكون قد قطع شوطا كبيرا في التسلح بالمعرفة، وقد وجد الفيلسوف نفسه قادرا على أن يفتش في عوالم الأدب واللغة وغيرهما "المعرفة الاستيمولوجية والمنهجية، هما اللتان تظاهرا الفيلسوف الحق على القدرة على الخوض في الظاهرة الأدبية على نحو كامل. لكن لا ينبغي أن نخادع أنفسنا فنحسب أن كلَّ الفلاسفة، أو كلَّ علماء الفلسفة قادرين على الخوض بكفاءة معرفية مطلقة في قضايا الأدب وأجناسه" (مرتاض، 2005، الصفحات 80-81).

فلا يمكن للفلسفة أن تبقى بعيدة عما يحيط بالإنسان، ومهمة الفيلسوف أن يطالع ويبحث في شتى الميادين. لكن المسألة تقتضي شروطا يجب أن يتحلى بها الباحث المتفلسف في مسائل الأدب، أولها الكفاءة العلمية، والمعرفة الكاملة بالأدب والفلسفة.

ويعتقد زكرياء إبراهيم أن الذي يحمل الفلسفة على "الخوض في النص الأدبي ويغريها به، أنها تزعم أن لها من الأدوات الإجرائية، ومن الإحاطة الاستيمولوجية، ومن الكفاءة المنهجية، ومن وسائل القدرة على الفهم والتأويل، وربما البرهنة على هذا الفهم وتأويل الفهم أيضا ما ليس لسواها من حقول المعرفة الأخرى (مرتاض، 2005، صفحة 82). وهو اعتقاد يعلي من شأن الفلسفة ويجعلها تمتلك مفاتيح البحث والمسألة دون سواها، لكنَّ هذا في الحقيقة اعتقاد مجحف في حق العلوم الأخرى التي قدّمت تفسيرات وتحليلات لظواهر أدبية.

لقد استطاع الفلاسفة طرق باب الأدب، وانفتحوا عليه، واستطاعت الفلسفة أن تحقق بفضل انفتاحها نتائج كثيرة، غير أنها لا يمكن أن تعيش وحيدة، فهي تحيا "إذا ما كانت تفكيرا في الإنسان، وإذا ما استمدت مادتها من العلوم الإنسانية" (حنفي، 1984، صفحة 242). فالاهتمام بنواة الكون - الإنسان - والانفتاح على العلوم الأخرى هو سبيل خلود الفلسفة وتجديدها.

ويمكننا القول أنَّ داخل كل أديب يقبع فيلسوف يتساءل ويتأمل ما يحيط به، وداخل كل فيلسوف أديب يعبر عن فكره وينتقي التعبير المناسب، لهذا يعرف عن الفيلسوف بأنه محترف تعقيد اللغة. فالأديب يستعير مصطلحات فلسفية، وي طرح قضايا ما ورائية خالدة، وينتج أدبا هادفا، ولهذا يقال: "كل أدب أصيل يبقى مسكونا بالفلسفة كما لو كان مسكونا بشبح لا يمكن طرده إلا بإرضائه" (ماركيه، 2005، صفحة 20).

وتتلاشى كل دعوات الفصل بين الأدب والفلسفة حينما نجد فيلسوفا متعطشا للأدب، يروي ظمأه ببلاغة اللغة وشاعريتها، وحين نصادف أديبا يتجرع الفكر والفلسفة، فيتكوّن نتيجة ذلك أدب بلغة الفلسفة وفلسفة بلغة الأدب. وما علينا إلّا الإقرار بأنّ الأدب والفلسفة ممتزجان امتزاجا معقدا. فلا شكّ في أنّ الذي "يكتب شيئا من الإبداع ابتداء من درجة معينة من الرقي وفي مستوى ما من الجمال الفني، قد يشقّ على أي دارس له إبعاد كتاباته من أشكال التفلسف، فلا كاتب إذن إلا وهو فيلسوف بالمعنى الثقافي العام؛ ولكن ليس كل فيلسوف كاتباً" (مرتاض، 2005، صفحة 89).

فبين الأدب والفلسفة جدل و صراع دائم، لأنّ سؤال العلاقة بينهما سيبقى مطروحا. لقد بدأ الخلاف قديما حين كانت السلطة للشعر، وهمّ أفلاطون بطرد الشعراء من جمهوريته، زعما منه أنّهم يتبعون عن الحقيقة. لكن، وإن هدا النزاع لفترات معينة، فما يلبث أن يعود بعد رأي جديد أو كتاب جديد، وتعود معه النقاشات، ويعود المشهد نفسه إلى الواجهة، مشهد الجدل الذي لولاه لكنا عرفنا رتبة وجودا في الفكر، ولسلّمنا بما قاله السلف. فلا يجب أن نفهم أن كلّ طرف نقيض للآخر، فالأدب لا يلغي الفلسفة، والفلسفة لا تقصي الأدب، لأنّهما في النهاية يتكاملان ويتداخلان. وليس حتما علينا أن نتصر لهذا الرأي أو ذك؛ بل علينا أن نسلّم بحقيقة أنّ الاختلاف لا يقصي أحدهما، فلكل مجال أهله وسماته ومقوماته، ولا مفاضلة بين طرف وآخر.

خاتمة:

وفي الختام، ورغم كل هذه التضاربات في الآراء حول حقيقة التشابه والاختلاف بين الفلسفة والأدب، يبقى تاريخهما شاهدا على مدى التقاطع بينهما، و"لعل ميزان العلاقة بين الفلسفة والأدب. يرجح كفة التكامل على كفة القطيعة" (الأزدي، 2013، صفحة 101)؛ لهذا، فإن تاريخ العلوم يتسع لكل من الأدب والفلسفة، ولا يجب أن نتوهم أن وجود طرف يعني إلغاء الطرف الآخر. فلا مفاضلة بين العلوم والاختصاصات لأن راهن التحولات الفكرية يؤكد مدى تداخل العلوم والمعارف والاختصاصات فيما بينها. كما أن دراسة علاقة الأدب بمختلف العلوم والتخصصات "تكتسي دلالة رمزية"، تتمثل في إرادة انفتاح الأدب على كل المستجدات الفكرية في العالم، وخاصة في وقت تعالت فيه أصوات الانغلاق والتفوق، فليس أمام الوجود الأدبي أو الفكري إن أراد أن يكون فاعلا وحاضرا، إلّا أن يفتح على التحولات الفكرية الهائلة في العالم المتقدم" (السماني، 2016، صفحة 16). فالعلوم تسير في دائرة الأخذ والعطاء، والآداب بدورها تتفاعل وتتناص مع غيرها. _مثلما حفظ التاريخ الأدبي والفكري أسماء لامعة من الفلاسفة الأدباء قديما وحديثا، سيعمل المستقبل بدوره أسماء أخرى، ولا شك أن كتابات الفلاسفة الأدباء ستساير تحولات العصر ومستجدات الكتابة الأدبية والفكرية.

لقد تعددت أشكال الكتابة البينية في العصر الحديث. كما تعددت أيضا أشكال الكتابة الأدبفلسفية بتعدد الأجناس الأدبية نتج عنها كتابات بينية عديدة، فالأدب الفلسفي هو ذلك الأدب المتشعب بمحوم الفلسفة وتساؤلاتها.

تعددت أسباب ودوافع اهتمام الفلاسفة بالأدب منذ القديم. الأمر الذي ساهم في تحول مسار العلاقة بين الفلسفة والأدب خاصة في ظل التحول الما بعد حدثاتي في الفلسفة وتفكك الحدود.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بوزيد. (2026). الفلسفة والأدب في فكر طه عبد الرحمان. تم الاسترداد من أراب نت 5: www.Arabnet5.com
2. أحمد محمد عليان. (2000). جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب (المجلد 1). لبنان: دار المنهل اللبناني.
3. بيار ماشيري. (2009). بم يفكر الأدب؟ تطبيقات في الفلسفة الأدبية (المجلد 1). (جوزيف شريم، المترجم)، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
4. جان فرانسوا ماركيه. (2005). مرايا الهوية - الأدب المسكون بالفلسفة (المجلد 1). (كميل داغر، المترجم)، لبنان: المنظمة العربية، للترجمة.
5. حسن حنفي. (1984). متى تموت الفلسفة ومتى تحيا؟، 242. الكويت، عالم الفكر (3). صفحة 242.
6. رياض شنته جبر. (2013). أدب الفلاسفة العرب من الكندي إلى ابن رشد (المجلد 1). سوريا: دار تموز، ط1، 2013.
7. زكريا ابراهيم. (1971). مشكلة الفلسفة. مصر: مكتبة مصر.
8. طه عبد الرحمن. (2011). حوارات من أجل المستقبل (المجلد 1). لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
9. عبد الجليل الأزدي. (2013). الفلسفة والأدب طلاق أم تكامل؟ المغرب: مجلة العلوم الإنسانية ضفاف (1)، صفحة 101.
10. عبد الغني السمان. (2016). الخطاب الثقافي في زمن التحولات - قراءة في المنجز الفكري - (المجلد 1). الأردن: عالم الكتاب الحديث.
11. عبد اللطيف محفوظ. (30 ديسمبر 2015). عن الفلسفة والأدب، أي علاقة؟ تم الاسترداد من لقدس العربي: www.alquds.co.uk
12. عبد الملك مرتاض. (2005). في نظرية النقد (المجلد 1). الجزائر: دار هوم.
13. كريسيان دوميه. (2013). جنوح الفلاسفة الشعري، ترجمة ريتا خاطر (المجلد 1). لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
14. محمد شفيق شيا. (2009). في الأدب الفلسفي (المجلد 1). لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
15. زكي نجيب محمود. (1963). فلسفة وفن. مصر. مكتبة الأنجلو المصرية
16. زكي نجيب محمود. (1989). عن الحرية أتحدث (المجلد 3). مصر، لبنان: دار الشروق.